الإظهار في مقام الإضمار في سورتي الأنفال والتوبة من خلال تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)

(دراسة تحليلية)

إعداد
صلاح فاروق محمد عبد المنعم
أ.د محمد عطا يوسف
استاذ الدراسات الإسلامية كلية الأداب _ جامعة طنطا
أ.د ياسر عطية الصعيدي
أستاذ الدراسات الإسلامية كلية الأداب _ جامعة المنوفية
أ.د محمد مشرف خضر
أستاذ البلاغة والنقد كلية الأداب _ جامعة طنطا

المستخلص:
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مَن أرسله الله رحمة للعالمين.. وبعد،،،
فإن الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من أعظم وجوه الإعجاز؛ لأنه تخلل كل آيات القرآن الكريم ومفرداته؛ ولأنه مصدر التحدي الأول للعرب وقت نزوله، ومن مظاهر هذا الإعجاز ظاهرة بلاغية هي" ظاهرة الإظهار في مقام الإضمار"، فهي فن جميل يُكسب الكلام جمالًا وبهاءً، ووقع كثيرًا بين آيات القرآن الكريم، وقد كان السبب في اختيار هذا الموضوع هو العمل على إظهار إعجاز القرآن الكريم، وبيان أن الإظهار في موطنه إعجاز كما أن الإضمار في موطنه إعجاز، وكل يؤدي دوره في حبك وسبك يبرز المعنى ويقويه، خاصة أني اخترت تفسيرًا اهتم بهذه الظاهرة وهو تفسير الإمام الطاهر بن عاشور(التحرير والتنوير)، واخترت كذلك سورتين عظيمتين من سور القرآن هما: سورتا الأنفال والتوبة مما تدور الدراسة حولها، وقد تتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي فتتبعت مواضع الإظهار في مقام الإضمار في تفسير ابن عاشور، ودرست الآيات وحللت ما أمكنني من ذلك، وكذلك تتبعت الآيات التي لم ينص عليها الإمام ووجهتها ما أمكنني ذلك حتى يكتمل البحث بجميع المواضع التي ذكرها الإمام ابن عاشور والتي لم يذكرها؛ تتميمًا للفائدة، وقد خلصت بعد فراغي من الرسالة قدر طاقتي إلى:

١- أنَّ ظاهرة «الإظهار في مقام الإضمار» من الأهمية بمكان، ودراسته مما يعد من مظاهر إعجاز القرآن الكريم البلاغي.
٢- أنَّ علماءنا وأئمتنا من المفسرين والبلاغيِّين قد عنوا بهذا اللون من البديع، والبيان، لكن لم يتناولوا جميع مواضعه في القرآن الكريم –على حدِّ علمي- بل في الغالب أشاروا إليها.
٣- أن الغالب في آيات القرآن الكريم المتخللة لهذه الظاهرة هو إظهار اسم الجلالة(الله)، والحكمة في ذلك هي زيادة تعظيم الله-عز وجل-، وإدخال الروعة، وتربية المهابة في نفس السامع والمخاطب إضافة لما فيه من أسرار تتجلى في مواضعها.
٤- بعد دراستي لهذه الظاهرة رأيت أنَّ أكثر المفسرين عنايةً بها هو الإمام الطاهر بن عاشور، والإمام الرازي، والإمام الشوكاني، والإمام أبو السعود.

هذا وبالله التوفيق،،

الفصل الرابع

المبحث الأول ويشمل الدراسة التطبيقيَّة "مواضع الإظهار في مقام الإضمار في سورة الأنفال في تفسير الإمام الطاهر بن عاشور"

الكلمات الإفتتاحية: الإظهار، تفسير التحرير والتنوير، سورتي الأنفال والتوبة.

المبحث الأول
مواضع الإظهار في مقام الإضمار في سورة الأنفال في تفسير الإمام ابن عاشور والتعليق عليها

لم يتعرض الإمام الطاهر بن عاشور في تفسيره لسورة الأنفال إلا لأربعة مواضع فقط، وهي كالتالي مرتبة الآيات:

الموضع الأول:

قوله تعالى(﴿ ﴾) . [الأنفال: ١٩].

قال الطاهر بن عاشور: «اختلف المفسرون لمن الخطاب في قوله تعالى:﴿ ﴾ هل هو للمشركين، أم للمؤمنين؟ فعلى أنَّ الخطاب للمؤمنين، فمعنى الآية الكريمة: «إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فِي الْمُسْتَقْبَلِ نَنْصُرْكُمْ فَقَدْ نَصَرْنَاكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ» (﴿ ﴾)أي: إِنْ تُمْسِكُوا عَنِ الْجِهَادِ حَيْثُ لَا يَتَعَيَّنُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ؛ لِتَسْتَجْمِعُوا قُوَّتَكُمْ وَأَعْدَادَكُمْ، فَأَنْتُمْ فِي حَالِ الْجِهَادِ مُنْتَصِرُونَ، وَفِي حَالِ السِّلْمِ قَائِمُونَ بِأَمْرِ الدِّين وتدبير شؤونكم الصَّالِحَةِ»[(١)].

وقيل معناه: إِنْ تَنْتَهُوا عَنِ التَّشَاجُرِ فِي أَمْرِ الْغَنِيمَةِ، أَوْ عَنِ التَّفَاخُرِ بِانْتِصَارِكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ وُقُوعِهِ.

وَقَوْلُهُ تعالى(﴿ ﴾) أي: وَإِنْ تَعُودُوا إِلَى طَلَبِ النَّصْرِ نَعُدْ فَنَنْصُرَكُمْ.

وقولـــــه تعـــــالى: (﴿ ﴾) تعْلِيلٍ لِتَعْلِيقِ مَجِيءِ الْفَتْحِ عَلَى أَنْ﴿ ﴾ الْمُشْعِرِ بِأَنَّ النَّصْرَ غَيْرُ مَضْمُونِ الْحُصُولِ إِلَّا إِذَا اسْتَنْصَرُوا بِاللَّهِ تَعَالى[(٢)].

فعلى هذا الوجه وهو أنَّ الخطاب في الآية للمؤمنين يكون في قوله: (﴿ ﴾ إظهـــار فـــي مقـــام

---

(١)التحرير والتنوير: (٩/٣٠٠- ٣٠١) بتصرف.

(٢): التحرير والتنوير: (٩/٣٠١) بتصرف.

الإضمار؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقال: «وأن الله معكم»، فعدل إلى الاسم الظاهر، وهو( ).

قال الإمام الطاهر بن عاشور: «فَعَدَلَ إِلَى الِاسْمِ الظَّاهِرِ؛ لِلْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ سَبَبَ عِنَايَةِ اللَّهِ بِهِمْ هُوَ إِيمَانُهُمْ»(٣).

وأرى أنه: لعل السر في ذلك هو تحريض على استكمال صفات المؤمنين والثبات عليها، والمداومة على الاتصاف بهذا الوصف العظيم فهي باب النصر الأكبر في بدر، وفي غيرها، ولعلَّ التعبير بالجملة الاسميَّة يفيد ذلك.

والتذييل بهذه الجملة(وأن الله مع المؤمنين)وإيراده مؤكدًا؛ لتأكيد معية الله للمؤمنين ومؤازرته لهم، وعدم تخليه عنهم، ولاشك أنهم في هذا الموقف أحوج ما يكونون لهذه المعية؛ ليثبتوا وتكون لهم الغلبة، ويتآزر معهم الإظهار في موطن الإضمار هنا، والتعبير بلفظ الجلالة(الله) دون غيره من الأوصاف لإلقاء الروع في قلوب أعدائهم وهذا سبب آخر للنصر وهو ما اختصت به هذه الأمة.

الموضع الثاني:

قوله تعالى: ( ) [الأنفال: ٣٦].

قال الإمام ابن عاشور: «كَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُقَالَ: «وَإِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ»، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:( ) [آل عمرَان: ١٢] فَعَدَلَ عَنِ الْإِضْمَارِ هُنَا إِلَى الْإِظْهَارِ تَخْرِيجًا عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ؛

لِلْإِفْصَاحِ عَنِ التَّشْنِيعِ بِهِمْ فِي هَذَا الْإِنْذَارِ حَتَّى يُعَادَ اسْتِحْضَارُ وَصْفِهِمْ بِالْكُفْرِ بِأَصْرَحِ عِبَارَةٍ، وَهَذَا كَقَوْلِ عُوَيْفِ الْقَوَافِي:[البسيط]

اللَّــوْمُ أَكْــرَمُ مِــنْ وَبْــرٍ وَوَالِــدِهِ وَاللَّـوْمُ أَكْـرَمُ مِـنْ وَبْـرٍ وَمَـا وَلَـدَا(٤)

لِقَصْدِ زِيَادَةِ تَشْنِيعِ وَبْرٍ الْمَهْجُوِّ بِتَقْرِيرِ اسْمِهِ وَاسْمِ اللُّؤْمِ الَّذِي شُبِّهَ بِهِ تَشْبِيهًا بَلِيغًا»(٥).

---

(٣) التحرير والتنوير: (٣٠١/٩).

(٤) البيت لعويف، وهو رجل من بني سعد بن نصر بن كعين الغاني، وهو من البسيط. ينظر: الكامل في اللغة والأدب المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم(٥٨/٣). الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

(٥): التحرير والتنوير: (٣٤٢/٩).

ويمكننا القول بأن إعادة لفظ ( ) بدل الإتيان بالضمير؛ لبيان مصيرهم في الآخرة، بعد أن بيَّن –سبحانه وتعالى- جزاء إنفاقهم أموالهم في الدنيا، ففوق أنهم يتحسرون على إنفاق أموالهم على حبهم لها دون طائل، وأنهم سيُغلبون كما فعل أبو جهل في بدر هو ومن معه، فقرر مصيرهم في الآخرة بالحشر في نار جهنم، والله أعلم.

والتعبير باسم الموصول(الذين كفروا) للإشارة إلى أن في صلته ما يدل على الجزاء، فسبب حشرهم في جهنم هو كفرهم المدلول عليه بالصلة(كفروا)، كما أن فيه إشعارًا بأن هذا الوصف(الكفر) سيظل ملازمًا لهم حتى في الآخرة، مما يدل على زيادة قبحهم والتشنيع عليهم، تنفيرًا من الاتصاف بهذا الوصف الذميم، وهذا من دلالات الإظهار في موطن الإضمار.

الموضع الثالث:

قوله تعالى: ( ) [الأنفال: ٤٣].

قال الإمام الطاهر بن عاشور: «وَوُضِعَ الظَّاهِرُ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ فِي قَوْلِهِ( ) دُونَ أَنْ يَقُولَ: «وَلَكِنَّهُ سَلَّمَ»؛ لِقَصْدِ زِيَادَةِ إِسْنَادِ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، وَأَنَّهُ بِعِنَايَتِهِ، وَاهْتِمَامًا بِهَذَا الْحَدِيثِ»[٦].

وأرى–والله أعلم بمراده-: إظهار لفظ الجلالة في قوله تعالى:(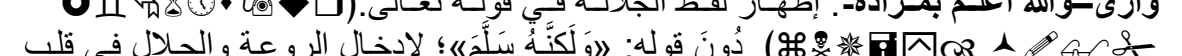) دُونَ قوله: «وَلَكِنَّهُ سَلَّمَ»؛ لإدخال الروعة والجلال في قلب السامع، وتربية المهابة في نفس المؤمن، فبدونه سبحانه وتعالى، لم يكن ليُقلِّل عدد المشركين في منام النبي –صلى الله عليه وسلم- وحتى يكون ذلك أدعى لتحريض النبي –صلى الله عليه وسلم- للصحابة للقتال، وكذلك لإلقاء القوة والشجاعة في نفس النبي –صلى الله عليه وسلم- ومَنْ معه.

الموضع الرابع:

قوله تعالى:(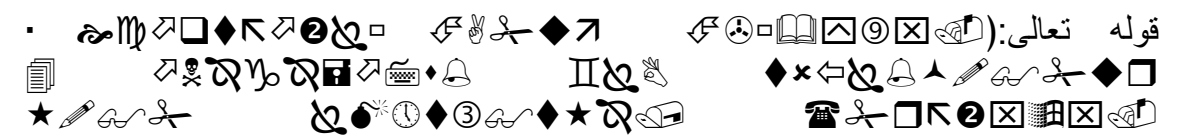) [الأنفال: ٥٢].

قال الإمام الطاهر بن عاشور: «فَأَمَّا الْإِظْهَارُ هُنَا فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ، فَاقْتَضَاهُ أَنَّ الْكُفْرَ كُفْرٌ بِمَا يَرْجِعُ إِلَى صِفَاتِ اللَّهِ، فَأُضِيفَتِ الْآيَاتُ إِلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ؛ لِيَدُلَّ عَلَى الذَّاتِ بِعُنْوَانِ الْإِلَهِ الْحَقِّ، وَهُوَ الْوَحْدَانِيَّةُ.

وَأَمَّا الْإِضْمَارُ فِي آلِ عِمْرَانَ؛ فَلِكَوْنِ التَّكْذِيبِ تَكْذِيبًا لِآيَاتٍ دَالَّةٍ عَلَى ثُبُوتِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأُضِيفَتِ الْآيَاتُ إِلَى الضَّمِيرِ عَلَى الْأَصْلِ فِي التَّكَلُّمِ»[٧].

---

(٦): التحرير والتنوير: (٢٤/١٠).

وأرى أن الإظهار جاء في مقام الإضمار هنا في لفظ الجلالة ﷺ، وكان مقتضى الكلام أن يظهر في الأول، ويضمر في الثاني والثالث، لكنه عدل عن ذلك فأظهر في الجميع، وجاء فيها باسم الله الأعظم ﷺ؛ وذلك لمناسبته لجحودهم الأدلة على وحدانيته.

إضافة لما في ذلك من تعظيم الله –عزَّ وجلَّ- وإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس السامعين، والله أعلم بمراده.

المبحث الثاني

مواضع زائدة من الإظهار في مقام الإضمار في سورة الأنفال.

- **الموضع الأول:**

قوله تعالى: ﴿ۖ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **[الأنفال: ١].**

هذه الآية تحتوي على موضعيْن:

- **الأول: قوله تعالى:** (﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾) **حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: «قل هي لله والرسول»؛ لأنَّه تقدَّم ذكر الأنفال، لكنه عدل عن ذلك، فوضع الاسم الظاهر موضع الضمير؛ فقال(**﴿ٱلرَّسُولِ﴾**).**

وقبل الكلام في بيان السر البلاغي وراء ذلك نبيِّن أولًا معنى كلمة «الأنفال»، وسبب نزول الآية، ومعناها، ثمَّ بيان السر وراء الإظهار الذي يقتضي الإضمار.

أولًا: معنى كلمة الأنفال:

يقول الإمام ابن فارس: «(نَفَلَ) النُّونُ وَالْفَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى عَطَاءٍ، وَإِعْطَاءٍ. مِنْهُ النَّافِلَةُ: عَطِيَّةُ الطَّوْعِ مِنْ حَيْثُ لَا تَجِبُ. وَمِنْهُ نَافِلَةُ الصَّلَاةِ. وَالنَّوْفَلُ: الرَّجُلُ الْكَثِيرُ الْعَطَاءِ.

(٧)التحرير والتنوير: (٤٣/١٠).

يتضح مما سبق أنَّ «الأنفال» تُطلق في الأصل على «الزيادة»، وتختص بالعطية التي لا تجب، وتطلق على «الغنيمة»، حيث إنها زيادة على المقصود من الجهاد، وهو الظفر على الأعداء لإعلاء راية الحق.

ويلتقي المعنى اللغوي المعجمي مع المعنى الشرعي في أنَّ الأنفال هي الغنائم؛ وسُمّيت بذلك لأنها عطيةٌ من الله –تعالى- زائدة على ما هو أصلُ الأجرِ في الجهاد من الثواب الأخروي(٨)، ويطلق أيضًا على ما يعطى بطريق التنفيل زيادةً على السهم من المغنم(٩).

ثانيًا: سبب نزول الآية الكريمة:

أخرج الإمام الترمذي عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ جِئْتُ بِسَيْفٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَفَى صَدْرِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ -أَوْ نَحْوَ هَذَا- هَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ، فَقَالَ: «هَذَا لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ» فَقُلْتُ: عَسَى أَنْ يُعْطَى هَذَا مَنْ لَا يُبْلِي بَلَائِي، فَجَاءَنِي الرَّسُولُ فَقَالَ: «إِنَّكَ سَأَلْتَنِي وَلِيسَت لِي، وَقَدْ صَارَت لِي وَهُوَ لَكَ»، قَالَ: فَنَزَلَتْ: (④□○⇦★◆❑➔❒◆☼☞❀✂ ⇖◆Ⅱ⇘ ⌧❒☼☞❀✂) الآيَةَ [الأنفال: ١](١٠).

وأيضًا أخرج الحاكم وأقرَّه الذهبي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا» أَمَّا الْمَشْيَخَةُ فَثَبَتُوا تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَأَمَّا الشُّبَّانُ فَتَسَارَعُوا إِلَى الْقَتْلِ وَالْغَنَائِمِ، فَقَالَتِ الْمَشْيَخَةُ لِلشُّبَّانِ: أَشْرِكُونَا مَعَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا رِدْأً لَكُمْ، وَلَوْ كَانَ فِيكُمْ شَيْءٌ لَجِئْتُمْ إِلَيْنَا، فَأَبَوْا فَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: فَنَزَلَتْ: (④□○⇦★◆❑➔❒◆☼☞❀✂ ⇖◆Ⅱ⇘ ⌧❒☼☞❀✂) فَقُسِمَتِ الْغَنَائِمُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ(١١).

---

(٨): تفسير أبي السعود: (٢/١٠).

(٩) المصدر السابق: (٢/١٠).

(١٠) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب من سورة الأنفال، حديث (٣٠٧٩): (٢٦٨/٥)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» وَقَدْ رَوَاهُ سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ مُصْعَبٍ، أَيْضًا وَفِي البَابِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ.

(١١) المستدرك على الصحيحيْن، كتاب التفسير، نزول القرآن في ما روي في المسند من القراءات وذكر الصحابة الذين جمعوا القرآن وحفظوه، حديث رقم (٢٨٧٦): (٢٤١/٢)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، والحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه، كتاب الصلح، ينظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط(٤٩٠/١١) حديث رقم (٥٠٩٣):. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

وقد لخَّص الإمام الطبري ما ورد في سبب نزولها، مما ورِي عن الصحابة –رضي الله عنهم- فقال: «وَاخْتُلِفَ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ فِي غَنَائِمِ بَدْرٍ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ نَفَلَ أَقْوَامًا عَلَى بَلَاءٍ، فَأَبْلَى أَقْوَامٌ، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَاخْتَلَفُوا فِيهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى رَسُولِهِ، يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ مَا فَعَلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَمَاضٍ جَائِزٌ... وَقَالَ آخَرُونَ: بل إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؛ لِأَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَأَلَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ شَيْئًا قَبْلَ قِسْمَتِهَا، فَلَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهُ؛ إِذْ كَانَ شِرْكًا بَيْنَ الْجَيْشِ، فَجَعَلَ اللَّهُ جَمِيعَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَتْ لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَأَلُوا قِسْمَةَ الْغَنِيمَةِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ دُونَهُمْ، لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ شَيْءٌ. وَقَالُوا: مَعْنَى: «عَنْ» فِي هَذَا الْمَوْضِعِ «مِنْ»، وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ: يَسْأَلُونَكَ مِنَ الْأَنْفَالِ، وَقَالُوا: قَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقْرَؤُهُ: «يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ» عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ»(١٢).

ممَّا سبق من الروايات يتبيَّن: أنَّ الآية الكريمة نزلت في شأن الغنائم، وحكم قسمها، وتوزيعها بعد غزوة بدر، خاصةً أنه لم يكن عند النبي –صلى الله عليه وسلم- حكم بها، فحدث خلاف بين الصحابة، أو أنهم سألوا النبي –صلى الله عليه وسلم- وتكرر السؤال منهم، فنزلت الآية، والجواب بعدها.

ثالثًا: معنى الآية الكريمة:

اختلف العلماء من المفسرين في معنى «الأنفال»، هل هي الغنائم؟ والمعنى على «يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التي غنمتموها في بدر لمن هي؟ فقل: هي لله ولرسوله»، وقال آخرون: هي أنفال السرايا، وقال آخرون: الأنفال ما شذ من المشركين إلى المشركين من عبد، أو دابة، وما أشبه.

مناسبة:

سبب نزول الآية المذكور سابقًا يؤيد أن المراد بالأنفال الغنائم، فتكون هذه الآية قد نزلت أولًا لبيان أنَّ الغنائم لله ولرسوله –صلى الله عليه وسلم-؛ وذلك رفعًا للشقاق والنزاع الذي وقع بين الصحابة، ثمَّ بيَّن سبحانه بعد ذلك حكم توزيعها في قوله تعالى:﴿ ☠🡐✍⇳☺🌜✡☒🡾 🖋🖂☺✵☼❐🕮 ☎✂☑❑🡐☺■🖬🡕🡾🖋✂◆❐ ⓿🡐❍✿❍🡐✍🡒” ★🖉 ☐🔏❐🕯♦▫ 🕮↗⇔🛇☒★ Ⅱ🌜✌ ❐◆🖋✂🖋🖋❑🡐☜▪❷🖬🌜◉◆❐ 🗐❼■🗁⇗❷🡒❶🡾◉🖋✂ ❽🌜🕭🌜🖉◆❐ 🗐❼🖂☺🕓♦✍◆⑩🡾◉🖋✂◆❐ 🖈✖✓🡅🗏🕓✿❍🖂☺🡾◉🖋✂◆❐﴾

(١٢) يُنظر: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي(١٣/٣٦٧ وما بعدها). بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

رابعًا: هل في الآية الكريمة نسخ؟

اختلف العلماء هل في الآية نسخ؟ وهل هي منسوخة بقوله تعالى( ) الآية من سورة الأنفال رقم (٤١).

حكى هذا الإمام القرطبي، ونسب هذا إلى الجمهور، ونسب إلى ابن عبد البر الإجماع على أنَّ هذه الآية نزلت بعد قوله تعالى: ().

وقيل: إنها محكمة غير منسوخة، حكاه المازري وابن المنذر، والداودي، والقاضي عياض، وابن العربي، وغيرهم، وأن الغنيمة لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- وليست مقسومة بين الغانمين، وكذلك لمن بعده من الأئمة(١٣).

والصحيح –والله أعلم-: أنَّه ليس بين الآيتين نسخ؛ لأنَّه من شروط النسخ استحالة الجمع بين النصيْن، وهنا يمكن الجمع بين الآيتين، فإذا أمكن الجمع بين النصين امتنع النسخ.

وتأويل ذلك: بأنَّ آية: ( ) هو بيان لإجمال قوله) في أول السورة الكريمة، فإنهما وردتا في انتظام متصل من الكلام(١٤).

خامسًا: السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

---

(١٣):الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش(٢/٨).الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

(١٤): التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٣٤٩/٩).

يتبيَّن السر في الإظهار في كلمة بالأنفال؛ وذلك للدلالة على أنهم لم يصيبوها باجتهادهم، بل محض فضل من الله وقوته، وأنَّهم نفلوها زيادة على النصر، وهذا هو سر الإظهار في الأنفال مرةً أخرى، ولم يكتفِ بإضمارها؛ لإظهار هذا المعنى، ورفعًا للخلاف والنزاع الذي وقع بينهم في قسمة الغنائم، وخاصةً أنها أحلت لهم ولم تحل لأحدٍ قبلهم(١٥).

وقد علَّق الإمام ابن عرفة في تفسيره على علة الإظهار في لفظ «الأنفال» في هذه الآية، فقال ــرحمه الله-: «والأصل أن يقال: «قل هي لله وللرسول»، كما قال تعالى: (❒◆④❒○⬄★◆▣➔❒☼◆①☙ ⇱◆✠⌶ ⇱✁☞☞☺☹⇲☺⍓☐◈⑩✂⇱ ☎ ♘➔✍⬀ ⚖➔❒◆ 🕮❒❶☸❽ ⇴⇲⇲⇲⇱) [البقرة: ٢٢٢]، لكنه أعيد الظاهر هنا، والمعنى حكمها لله والرسول، فحكمها لله باعتبار أصل الشريعة؛ لأنَّه يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء، والرسول باعتبار التبليغ؛ لأنَّه هو المبلغ عن الله»، -ثمَّ طرح سؤالًا، فقال: «السؤال عن إعطائها فكيف طابق الجواب، قلنا: هو بمنزلة مَنْ سأل رجلًا أن يعطيه العبد الفلاني، فيقول له: كيف نعطيك وهو شركة بيني وبين فلان؟»(١٦).

- الموضع الثاني في الآية الكريمة: قوله تعالى: ☎(▫◆☞☞✍☐◑➔❒✂☎ ✂☞✎⅄ ❒◆🕮❒⏲⇳▣⍉⬅◆❒✂☎ ❶◆✂☠✿ ⇱◆❹⬀☪♊☒➔☠⬀ ☎ ❒◆🕮❒☪♊⓿➔⇱❒✂☎ ✂☞✎⅄ ❒◆❻◆♒⬅❒✎◆🕮⇱①▦ ◑⍉♌ ⇱☚☪⬈☜⬅⚐ ✌⑩◆⬃✌☪♊☪♊✓×◆ ⇱⇲⇱) [الأنفال: ١].

كان مقتضى الظاهر والكلام أن يقول: «وأطيعوه ورسوله»؛ لأنَّه قد تقدَّم ذكره، فعدل عن ذلك بوضع الاسم الظاهر «اسم الجلالة» موضع الضمير، فقال: (❒◆🕮❒☪♊⓿➔⇱❒✂☎ ✂☞✎⅄).

والسر في ذلك ــوالله أعلم-: هو تأكيد الأوامر الواردة في الآية الكريمة، حيث أمر بتقوى الله، وإصلاح ذات بين المؤمنين، والأمر بطاعة الله ورسوله، والتسليم والرضا بحكم الله ورسوله في شأن الأنفال والغنائم، ولما في ذكر اسم الله وهو اسمه الأعظم -عزَّ جاهه وجلَّ ثناؤه- من إدخال

---

(١٥) يدلُّ على هذا ما أخرجه الإمامان (البخاري ومسلم) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّـهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ». صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي –صلى الله عليه وسلم– جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، حديث رقم (٤٢٧): (١/١٦٨)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٢١): (١/٣٧٠).

(١٦)تفسير الإمام ابن عرفة المؤلف: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)المحقق: د. حسن المناعي(٣/٢٧٧).الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس الطبعة: الأولى، ١٩٨٦ م:

الروعة وتربية المهابة، ومما يؤيد ذلك سبب النزول المذكور سابقًا في فصل التعريف بالسورة الكريمة[١٧]، ولما في ذلك أيضًا من زيادة تعظيم لله -سبحانه وتعالى-، وكذلك في إظهار اسم الجلالة تعليل للحكم، والمعنى: إذا كان أمرُ الغنائم لله –تعالى- ورسوله فاتقوه –تعالى- واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها، والاختلاف الموجِبِ لسخط الله –تعالى- أو فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون، فيدخُل فيه ما هم فيه دخولًا أوليًّا[١٨].

- **الموضع الثاني:**

قوله تعالى: (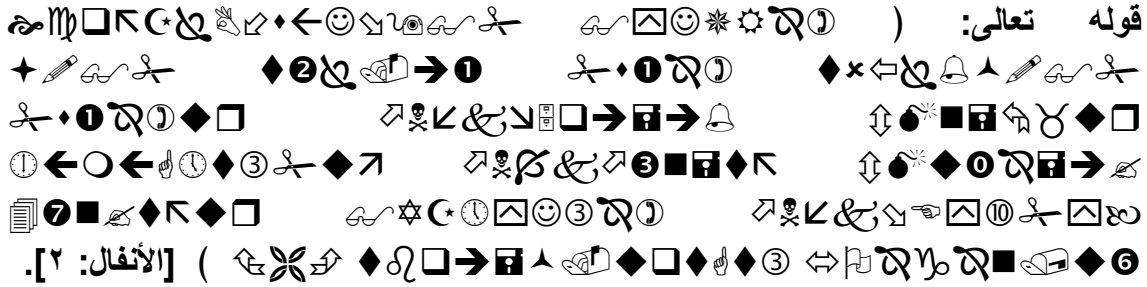) [الأنفال: ٢].

المعنى الإجمالي للآية:

جمعت هذه الآية الكريمة والتي بعدها خمس صفات للمؤمنين[١٩]:

- **الأُولى: أَنهم إِذا ذكر الله –تعالى- خافت وفزعت قلوبهم؛ استعظامًا لمقامه الجليل.**
- **الثانية: إذا تتلى عليهم آيات الله –تعالى- زادتهم إِيمانًا، وتصديقًا، ويقينًا بربهم، ونشاطًا في أَعمالهم.**
- **الثالثة: متوكلون على ربهم، فلا يعتمدون على غيره، ولا يفوضون أُمورهم لسواه.**
- **الرابعة: يقيمون الصلاة بشروطها، وأركانها، وأذكارها، ومواقيتها، مع الخضوع، والخشوع، والاعتبار، والاتعاظ بتلاوة القرآن.**
- **الخامسة:** **أَي: ومما أَعطيناهم من الأموال والأرزاق، ينفقون في وجوه البر والخير، امتثالًا لأَمر الله تعالى.**

مناسبة الآية لما قبلها:

---

(١٧) يُنظر: فصل التعريف بسورتي الأنفال والتوبة: ص

(١٨) يُنظر: تفسير أبي السعود: (٣/٤)، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.

(١٩) يُنظر: تفسير الرازي: (٤٥٠/١٥ وما بعدها)، والتفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف: (١٥٨٢/٣، ١٥٨٣)، وتفسير الشيخ المراغي: (١٦٤/٩).

يقول الإمام الرازي –رحمه الله-: «اعْلَمْ أَنَّهُ –تَعَالَى- لَمَّا قَالَ: (وَاقْتَضَى ذَلِكَ كَوْنَ الْإِيمَانِ مُسْتَلْزِمًا لِلطَّاعَةِ، شَرَحَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَزِيدَ شَرْحٍ وَتَفْصِيلٍ، وَبَيَّنَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا عِنْدَ حُصُولِ هَذِهِ الطَّاعَاتِ فَقَالَ: ( ) الْآيَةَ»[٢٠].

موضع الإظهار في مقام الإضمار في الآية الكريمة.

إنَّ الإظهار في مقام الإضمار هنا في قوله تعالى: ( ) ولم يقل: «وعليه يتوكلون»؛ لسابق ذكر «الله» قبل في قوله: ؛ لأنه موجب لمزيد من التوكل عليه، ولا سيما ذكر «الربِّ»؛ ليذكرهم بنعمه التي لا تحصى ولا تُعد، وكذلك لمزيد التفنن في الخطاب، والأسلوب بالجمع بين اسميه تعالى «الله- الرب»؛ ليحقق هذا الغرض الأساس من ذكرهما، وهو تقوى الله، وإصلاح ذات البين، وطاعته –تعالى- وطاعة رسوله، والحث على الرضا والتسليم لحكمه –تعالى- وحكم رسوله في شأن الغنائم، يضاف إلى ذلك ما في ذكر الله بربوبيته من التعظيم له سبحانه، وتربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين.

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

وُجد هذا الموضع في الصفة الثالثة من صفات المؤمنين، وهي التوكل على الله –تعالى- وآثر سبحانه فيه ذكر «الربِّ» على ما سواه، والمعنى كما قال الإمام ابن كثير: (أَيْ: لَا يَرْجُونَ سِوَاهُ، وَلَا يَقْصِدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَلُوذُونَ إِلَّا بِجَنَابِهِ، وَلَا يَطْلُبُونَ الْحَوَائِجَ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا يَرْغَبُونَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْمُلْكِ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»[٢١].

وجاء في التفسير الوسيط: «هذه الآية تحريض على التزام طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما أمر به من قسمة الغنيمة»[٢٢]

- الموضع الثالث:

قوله تعالى: ( )

---

(٢٠) يُنظر: تفسير الإمام الرازي: (١٥/٤٥٠).

(٢١) يُنظر: تفسير ابن كثير: (٤/١٠).

(٢٢) التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء، بإشراف مجمع والبحوث الإسلامية بالأزهر: (٣/١٥٨٢).

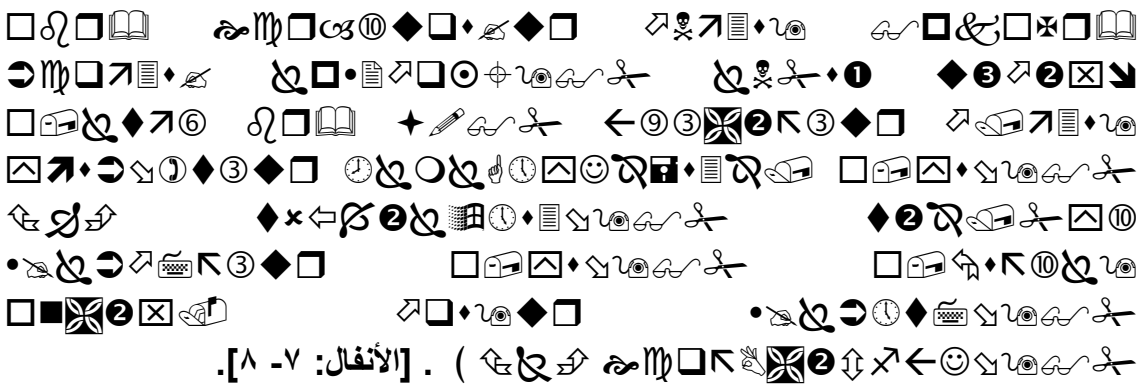

في هاتين الآيتين الكريمتين موضعان:

- الموضع الأول: قوله تعالى: ، حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: «ويريد أن يحق الحق بكلماته» بصيغة الإضمار؛ لأنه قد تقدَّم ذكره في قوله تعالى: ، فأظهر فقال سبحانه: الآية.

معنى الآية الكريمة:

تصور الآية الكريمة حال المسلمين في غزوة بدر، حيث وعدهم الله –تعالى- أولًا قبل الخروج بإحدى الطائفتين إما العير وإما النفير، ومع أنَّ الله –سبحانه- قدر لهم الثانية، ولكنه لم يفصح لهم عن ذلك؛ ليستحثهم على الخروج، وكانوا يودون العير لسهولتها، ولأنهم لم يستعدوا للأخرى، فبين سبحانه أنهم أرادوا شيئًا، وأراد الله لهم شيئًا آخر لهم فيه الخير وجمع لهم بين النصر والغنيمة(٢٣).

السر في وضع المظهر موضع المضمر:

هو تقوية وتأكيد ما في معنى الآية الكريمة من أنَّ الله –تعالى- قد اختار الأفضل لهم ولدينه، وهو(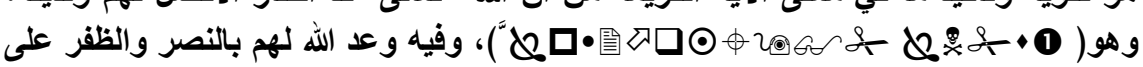)، وفيه وعد الله لهم بالنصر والظفر على

(٢٣) يُنظر: تفسير السمعاني: (٢/٢٤٩، ٢٥٠)، لبحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)المحقق: صدقي محمد جميل(٥/٢٧٧)الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ ، وتفسير الإمام البيضاوي: (٣/٥١)، والتفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: (٣/٥١)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهروي الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي(١٠/٣٤١، ٣٤٢).الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

أعدائهم، وكذلك أنَّ في التصريح باسم الله –تعالى- الأعظم فيه طمأنة لهم، حتى يلاقوا عدوهم وهم واثقون بنصر الله –عزَّ وجلَّ-.

يضاف إلى ذلك ما في إظهار اسم الجلالة من تعظيم الله –سبحانه- وتربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين.

- الموضع الثاني في الآية الكريمة: قوله تعالى: (☐🖃🡅♦↖⑩🙪➰ ✂🖋↘➰♦🖂🖃☐) حيث كان مقتضى الكلام أن يقال: «ليحقه»؛ لأنه تقدم ذكره قبل ذلك، لكن عدل عن ذلك إلى الإظهار، فقال: ☐🖃🡅♦↖⑩🙪➰ ✂🖋↘➰♦🖂🖃☐ ، والحق أنه لكي نقول: إن في الآية إظهارًا في مقام الإضمار، لا بُدَّ أن يكون المراد بالحق في الجملتين واحد، فقد نص بعض المفسرين على اختلافهما، فالمراد بالأول الوسيلة، والسبب، وهو ما وعد الله –تعالى- به في هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء، والمراد بالثاني المقصد والغاية، وهو تثبيت دين الإسلام وتقويته، وإظهار شريعته، ومحق دين الكفر[٢٤].

والحق –والله أعلم- أنه ليس في جزء الآية هذا إظهار في مقام الإضمار؛ وذلك لأن المراد بالحق في الجملتين مختلف.

ولكن ما الحكمة في التعبير عن كليهما بنفس اللفظ؟

للدلالة على كلا المعنيين بلفظٍ واحدٍ؛ فالسبب يستتبع المقصد والغاية، ويكون ذكر السبب ذكرًا للمقصد والغاية بطريقةٍ ضمنيةٍ، والعكس في ذلك صحيح، فيكون في ذلك تقوية وتأكيد للسبب والغاية معًا، حيث ذكرا مرتين صراحة، وضمنًا، والله –تعالى- أعلى وأعلم.

- الموضع الرابع:

قوله تعالى: (⓿➊🡆🡇 ♦♌❑➔⌖⓿🖋⇔♦☝⇔○■✍ ⇗☠↗▤✸🖃◆❻ ❼🡆☐❄❒🕮 ⇗☠➔⌛♦➰ ⌘☮✍🖂↗♦☞⇔ᘓ✍✍♦▫ ⌘Ⅱ🙪♓✌ 🖮✂↘➰❒🕯🡆🖃 ☠↗🖃❻⑨🙪☺↖✌ ⇳🖉🖋 ✍▫✓🙪▫🙪⑩⇔❺←☜ 🙪☐♦▤🖉◈❋🕓■🖬🖂☺↘➰✍✂ ▤❽◆❷⇳⌖←🖃 ··🡆⓿ ✦🖉✍✂ ↖🕮♦✂🖂➔🖂♉ ✍♦✌◆❒ ❒◆☞🙪➰◆❒ ☐✖🖋↖🖂☺⇳➲♦☞🙪➰◆❒ ⇗☠↗▤←🖃❑➔🖬➔🕭 🕘🙪○🡆🖃 🗐 🙪⑨✲🙪↖ ⇳Ⅱ🙪✌ ··🡆⓿ ←❸⇔⇳☐☪➰✍✂ ✍♦✌◆❒ ✂🖋↘➰♦🖂🖃☐ ★🖉✍✂ ·♍🡆⓿ 🗐 ➴🖉✍✂ ↙⚐⑩🡅▤🖂○ ↘❽③🖉⑩◆↖ ⇳🖋🖋🖋) [الأنفال: ٩- ١٠].

---

(٢٤) يُنظر: الكشاف، للإمام الزمخشري: (٢٠٠/٢)، وتفسير الرازي: (٤٥٨/١٥)، وأيضًا تفسير الإمام الشعراوي: (٤٥٨٥/٨)، الناشر: مطابع أخبار اليوم وكذلك التفسير الوسيط، للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: (٤٢/٦).

حيث ذُكِر اسم الله –تعالى- في هاتين الآيتين أربع مرات: الأولى باسم الرب ٱلى ّ، والثلاثة بصيغة الإضمار، لكنه عدل عن ذلك بوضع الاسم الظاهر موضع المضمر، واختار اسم الجلالة «الله» دون «ربكم» الذي تقدم ذكره، فقال: ❒◆✌◆☞ ♉⍓➔⍓✁⧫🕮⇱ وقال: (❒◆✌◆☞ ✁☞✍✦) ♒♋⧫●✈ ❸➔ ⇕ ☐⏾⍓⏺✁ ☞♉ ⏻⁂ ✌⚡♊⇳ ⇱⚡✡⑨⚡ ✁☞✍★)، وقال: (♒♋⍟· ✁☞✍⅄ ⇱◆⑩♋③❽➘ ❍⍓⑩⤤⑩⚐✔ (ّ

سبب النزول:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (⏾♒❶⬂ ⬀☠⬈▤✸✍◆❻ ◆♌❑➔⌖⓿☞⬄◆✌⬄○■⛸ ❼♒❑❄❒🕮 ⬀☠➔⏳⧫♒ ⌘⛬✍⍓➚◆☞⬄♒✍✍⧫⌑ ⌘♊⚡♓✌ ⌨✁⬂♒❒🕯♒✍ ☠➚✍❻⑨⚡☺⇱✌ (⛮⚡⬀ ♑▫✓⚡▫⚡⑩⬄❺🡐☟ ⚡❑⧫▤♒⟐❄🕔■⍞⍓☺⬂♒✍✁ [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ»(٢٥).

معنى الآية الكريمة:

المستغيث هو النبي –صلى الله عليه وسلم- وعبر عن المجموع؛ لأنه كان يعبر عمَّا في نفوس المؤمنين، وقد استجاب الله لدعاء رسوله بمدد من الملائكة، بدأ بألف متتابعين بشرى لهم، وتثبيتًا لقلوبهم، وختمت الآية بسنة ماضية هي أن النصر ليس بالعدد ولا العتاد، مع الأخذ

---

(٢٥) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، حديث رقم (١٧٦٣): (٣/١٣٨٣- ١٣٨٤).

بالأسباب المادية ما أمكنهم ذلك، ولكنه من عند الله العزيز الحكيم، وهما اسمان جليلان لرب العزَّة يناسبان ما في الآية من معنى(٢٦).

السر البلاغي في وضع المظهر موضع المضمر في هذا الموضع:

لعلَّ السر –والله أعلم- في ذلك: هو التأكيد على ما في الآية من وعود وبشريات، وتقرير ما فيها من حقائق ومعانٍ.

- أول هذه المعاني: إمداد الله –تعالى- للمؤمنين بالملائكة بشرى لهم، وتثبيتًا لقلوبهم.
- ثاني هذه المعاني: أنَّ النصر لا يكون إلا من عند الله، مهما تفاوت الفريقان.
- ثالثها: أظهر لفظ الجلالة بدل الضمير؛ تنبيهًا لعباده المؤمنين بأنهم تحت حفظه، وعنايته، فهو –سبحانه وتعالى- العزيز الذي لا يغالب في قضائه الحكيم، الذي ينصر ويخذل بمقتضى الحكمة والمصلحة.
- وكذلك الغرض منه: بيان مصدر النصر، وإظهار عناية الله بعباده المؤمنين بأن توكلهم على الله لا على الملائكة، وما الملائكة إلا من أسباب النصر، وفي هذا تنبيه على أنَّ الإيمان لا يكمل إلا عند الإقبال الكامل بالكلية على رب الأسباب الذي إن شاء أجراها، وإن شاء عطَّلها، فيأخذ بها كأنها كل شيء، ولا يعتمد عليها كأنها لم تكن شيء، وهو مما يقوي به الله رجاء النصرة، والطمع في الرحمة.
- وأخيرًا: ختام الآية الكريمة بصفتين من صفات الله –تعالى- وهما «العزَّة والحكمة» يتفقان مع المقام، والتعبير باسم الله –تعالى- «الرب»؛ ليناسب مقام التربية بالإنعام والفضل، ثم الإظهار في المواضع الثلاثة والتعبير باسم الجلالة «الله» فيه من التعظيم له –سبحانه وتعالى- وتربية المهابة، وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين والسامعين.

(٢٦) يُنظر: بحر العلوم، للإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ): (١٠/٢)، وتفسير أبي السعود: (٧/٤، ٨)، وتفسير المراغي: (١٧٢/٩، ١٧٣)، والتفسير الوسيط، للإمام الأكبر د/ محمد سيد طنطاوي: (٤٤/٦ وما بعدها).

المصادر والمراجع

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للإمام شهاب الدين أحمد ابن محمد بن عبد الغني الدمياطيّ، الشهير بالبناء (المتوفى ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية- لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م= ١٤٢٧ه.

٢- الإتقان في علوم القرآن، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

٣- أساليب بلاغية، (الفصاحة- البلاغة- المعاني)، لأحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، وكالة المطبوعات- الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

٤- أسباب نزول القرآن، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح- الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.

٥- الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن ابن عمر، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل- بيروت، الطبعة الثالثة.

٦- البحر المحيط في التفسير، للإمام أبي حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠ه.

٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، للإمام أبي العباس أحمد بن محمد ابن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى ١٢٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي- القاهرة، ١٤١٩ه.

٨- البرهان في علوم القرآن، للإمام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (المتوفى ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ه= ١٩٥٧م.

٩- البلاغة العربية، للدكتور/ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى ١٤٢٥هـ)- دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ه= ١٩٩٦م.

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام أبي الفيض محمّد بن محمّد ابن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١١- التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ه= ٢٠٠٠م.

١٢- التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام أبي القاسم، محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور/ عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ه.

١٣- تفسير ابن عطية= المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه.

١٤- تفسير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ه.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الملخص العربي	٢
الفصل الرابع: ويشمل الدراسة التطبيقيَّة "مواضع الإظهار في مقام الإضمار في سورة الأنفال في تفسير الإمام الطاهر بن عاشور".	٣
وهو مكون من توطئة ومبحثين:	٣
توطئة:	٣
المبحث الأول: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في سورة الأنفال في تفسير الإمام الطاهر بن عاشور.	٣
المبحث الثاني: مواضع زائدة من الإظهار في مقام الإضمار في سورة الأنفال.	٧
المصادر والمراجع	٢٠
الفهرس	٢٢
الملخص الإنجليزي	٢٣

shoeing in the place of atrophies in the two sauras ALanfal and Altawbah through the explanation of editing and enlightenment for Al Taher ebn Ashour who died in 1393 AH

By

Salah Farouk Mohamed Abdelmonem

Prof. Dr. Mohamed Atta Youssef

Professor of Islamic Studies, Faculty of Arts, Tanta University

Prof. Dr. Yasser Attia Al-Saedy

Professor of Islamic Studies, Faculty of Arts _ Menoufia University

Prof. Muhammad Musharraf Khader

Professor of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arts, Tanta University

Abstract:

In the name of Allah most gracious most merciful

Thanks Allah the lord of the world and all prayers and peace be upon our apostle who was sent as a mercy for people . The rhetorical impress of the holy Quran is one of the greatest impress frames as it interspersed all the verses of the holy Quran and it's vocabularies . And as it's the first source of challenge for Arabs at the time of the descent of the holy Quran. One of the features of this impress is a phenomena called (showing in the place of atrophies). It's a beautiful art that gives the darkness a beauty an magnificence . the holy Quran used it a lot in it's suras and among it's verses. The reason for choosing this topic is to work on showing the incapacitation of the holy Quran and to show that showing originally is an incapacitation and also the atrophies originally is an incapacitation . each of them act it's role strictly that show an strengthen the meaning. Specially that I choose an explanation that has given an interest to this phenomenon which in the explanation of (Alemam eb Ashour) in editing and enlightenment. In addition , I chose to great suras from the holy Quran which are (AlAnfal and AlTawbah). The study revolves around it. The analytical inductive curriculum maybe

appeared. Consequently the positions of showing maybe appeared in the analysis of ebn Ashour and I commented on his speech as possible as I could. Also the positions that aren't texted maybe emitted by the Emam to complete the research.

After finishing my study I have extracted that ,

1- The phenomena of showing in the place of atrophies has its importance and its study is regarded as one of the features of the incapacitation of the holy Quran .
2- That our scientists, our Emams , interpreters and rhetoricals have cared about this kind of statement and creativity .
3- Most of the holy Quran verses show the name of (Allah).
4- The purpose of that is to over greaten (Allah Azza wa gal) and to enter gorgeousness and to bring up the prestigiousness in the souls of both the listener and the addressee in addition to its secrets that are shown in its positions .
5- After my study for this phenomena, I have discovered that, most interpreters who discussed this point enough are (AlEmam AlZaher ebn Ashour, AlEmam AlRazi ,AlEmam AlShawkani and AlEmam Abu Alsoaud).

Keywords: The manifestation, interpretation of liberation and enlightenment, Surat Al-Anfal and Al-Tawbah**.**